2- متانة الإرادة في الإسلام

د. أحمد علي السّبع
باحث في الشؤون القانونية والاقتصادية الإسلامية
Ahmad092@Hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/2/6 **تاريخ القبول: 3/3/ 2022**

مخلص

الإرادة هي الأساس في جميع نواحي حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية، وعليها يعتمد الشخص في عمله. فلا يمكن القيام بالأمور الحياتيّة بدون إرادة حاضرة وصلبة للقيام بعمل صالح. لذلك فإنّ كل مسلم يقوم بعمله خالص لله سبحانه وتعالى، مبني على إرادة متينة لأنها مرتكزة على القرآن الكريم والسنّة النّبويّة الشّريفة، وعندها يكون العمل منجزا بكل أمانة ورصانة.

ومن هنا كانت هذه الدراسة لتبين مفهوم ومتانة الإرادة في الإسلام بصفتها وشروطها وأنواعها، وعلاقتها بمشيئة الله سبحانه وتعالى ومن ثمّ إبراز حقيقة الإنسان، أهو مسيّر أم مخيّر؟

الكلمات المفتاحية: الإرادة، المشيئة، النّيّة، مخيّر، مسيّر.

Abstract

The strength of the will in Islam

The will is the basis in all aspects of human social and economic life, upon which a person depends in his work. It is not possible to do life things without a present and solid will to do a good deed. Therefore, every Muslim does his work sincerely to God Almighty, based on a solid will because it is based on the Holy Qur'an and the honorable Prophetic Sunnah, and then the work is completed with honesty and sobriety.

Hence, this study was to show the concept and strength of the will in Islam in its capacity, conditions and types, and its relation-

ship to the will of God Almighty, and then highlighting the reality of man or his choice?

Keywords: Will, God's will, Intention, Choice, Propulsive.

المقدمة

القرآن الكريم كلام الله، أنزله على سيدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام، عن طريق الوحي جبريل عليه السلام، بلسانٍ عربي ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الهداية، وهو الكتاب الذي يتعبّد به المسلمون بقراءته وحفظه وتدبّره. هو المعجزة الخالدة التي تحدّى بها الله سبحانه وتعالى العرب أجمعين، على أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ أو بآيةٍ واحدة فقط، فعجزوا على الرغم من تمتّعهم بدرجةٍ عاليةٍ من الفصاحة والبلاغة.

لقد خلقنا المولى سبحانه وتعالى على نفسٍ كريمةٍ، ولكنّنا ضيّعنا ما بها من كرم ومنحنا الخالق قبساً من عزّته... فلماذا فقدناها؟ ووهبنا نبت الإرادة فما كان منّا إلاّ أن حرمناها ريّها وتركنا تربتها تبور. ليس أمامنا اليوم إلاّ أن نقلب تربة الإرادة ونصلحها ونفلحها ونمدّها بالرّواء لتنمو وتزدهر وتؤتي ثمرتها وتصبح أكثر صلابة.

بذرة الإرادة مضمرة في الفطرة، حافظة دوماً لخصائص نمائها وإن خمدت أحياناً. وأولى دلائلها حينما قبل الإنسان حمل الأمانة التي عرضها الله سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال فأبَيْن أن يَحمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان، قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب، 72].

الإرادة من المعاني التي خاض غمارها المفكرون على اختلاف بلدانهم وطرقهم ونظريّاتهم، وللإرادة مجال رحب ودور فاعل في مضمار المعاني العقليّة وتأثير في ميدان الحياة العمليّة. إذ هي فلسفة ونظرة إلى سلوك الفرد والجماعة بما لها من مردود إيجابي على الحياة الفكريّة والتّطبيقيّة في المجتمعات.

المبحث الأول: الإرادة

المطلب الأوّل: تعريف الإرادة لغةً واصطلاحاً

الإرادة لغة[1]: أصل الكلمة « رَوَدَ» (بفتحتين) بمعنى المشيئة والطّلب والاختيار.

(1) الفيومي، أحمد بن محمد (-770هـ/1368م)، **المصباح المنير**، تحقيق يوسف محمد، بيروت، المكتبة العصريّة، ط1، 1417ه/ 1996م، 128.

والرَّوْدُ: المهلة في الشيء. وقالوا رويداً أي مهلاً.

الإرادة في الأصل[1]: قوّة مركّبة من شهوة وحاجة وأمل، وجُعل اسماً لنزوع النّفس إلى الشّيء مع الحكم فيه بأنّه يُفعل أو لا يُفعل، وقد يستعمل مرّة في المبدأ، وهو نزوع النّفس إلى الشّيء، وتارةً في المنتهى وهو الحكم فيه بأنّه ينبغي أن يُفعل أو لا يُفعل. وقد تكون بحسب القوّة التّسخيريّة والحسّيّة، وقد تكون بمعنى القوّة الاختياريّة، والإرادة قد تكون مَحَبَّة وغير مَحَبَّةٍ.

أمّا الإرادة اصطلاحاً[2]: فصفة توجب للحيّ حالاً يقع منه الفعل على وجهٍ دون وجه، وفي الحقيقة: هي ما لا يتعلّق دائماً إلاّ بالمعدوم، فإنّها صفة يخصص أمراً ما لحصوله ووجوده، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس،82]، وميل يعقب اعتقاد النّفع، ومطالبة القلب غذاء الروح من طيب النّفس، وقيل: الإرادة حبُّ النّفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله تعالى والرِّضا، وقيل: الإرادة جمرةٌ من نار المحبّة في القلب مُقتضية لإجابة دواعي الحقيقة. وقيل[3]: الإرادة الفراغ لأمر الله، والثّقة بوعد الله، ودوام قرع باب الله. وقيل: «الإرادة تحويل القلب عن الأشياء إلى ربّ الأشياء».

فالإرادة أن يعتقد الإنسان الشّيء، ثم يعزم عليه، ثمّ يريده. والإرادة بعد صدق النيّة، كما قال النبيّ عليه الصّلاة والسّلام: « لكلّ امرئ ما نوى»[4]. والمريد: الذي أعرض قلبه عن كلّ شيء سوى الله.

قال تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء،26] أي[5] يريد الله بما شرع لكم من هذه الأحكام، أن يبيّن لكم ما خفي عنكم من مصالحكم، ومحاسن دينكم، ويرشدكم إلى مناهج الأنبياء والمرسلين، لتقتدوا بهم، وأن يوفّقكم للتوبة، والله عليم بأحوال العباد، حكيم في تشريعه لهم.

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم (-711هـ/1311م)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3، 1414ه/1994م، 3، 188.

(2) البرجاني، علي بن محمد (-816ه)، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1413،2ه/1992م، 30-31.

(3) الفارابي، محمود بن أحمد (-607هـ)، **تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق**، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، بيروت، دار أبن حزم، ط1، 1421هـ/2000م، 637.

(4) البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل(-256ه)، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي (1)، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (1)، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1423ه/2002م، 1، 7.

(5) الصّابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسرّ**، بيروت، مؤسسة الرّيّان، ط1، 1422هـ/2001م، 183.

يقول الله تعالى ﴿ وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف،103]، يقول[1] جلّ ثناؤه: وما أكثر مشركي قومك يا محمّد، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك، ويتّبعوا ما جئتهم به من عند ربّك بمصدّقيك ولا متّبعيك. إنّ الذين لا يلقون الاهتمام لأوامر الله، ويجعلونها وراءهم ظهرياً، يتمنّون أن ينجرف المؤمنون في تيّارهم فيكونون سواءً. وهذا يعني أنّ إرادتهم على العكس من إرادة الله تعالى. انظر إلى قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء،27] أي[2] والله يريد أن يطهّركم من الذّنوب والآثام، ويريد الفسّاق والفجّار، الذين يتّبعون الأهواء والشّهوات، وأن يصرفوكم عن التّقوى إلى الفجور، وعن الإيمان إلى الضّلال، لتكونوا مثلهم. وفي آية أخرى يقول الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف،8] أي[3] يريد أعداء الله (المشركون واليهود، والنّصارى) أن يطمسوا نور الإسلام ويقضوا عليه، والله سبحانه متم نوره بإعلاء دين الإسلام، ولو كره أعداء الله ذلك!! وقد جاء التّعبير بأبلغ أساليب الروعة والإبداع، حيث صوّر حال هؤلاء الأعداء، بصورة إنسان أحمق، أراد أن يطفئ الشّمس، بفمه الصّغير الحقير، فنفخ عليها، فهل يذهب نورها وينطمس ضياؤها؟

يعني ذلك أنّه من الممكن أن تكون إرادة الإنسان على عكس إرادة الله تعالى. وليس الطلب كالفعل. والله تعالى يفعل ما يريد. فقال تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود، 107] أي[4] لابثين فيها أبداً، وذلك أنّ العرب إذا أرادت أن تصف الشّيء بالدّوام أبداً، قالت: هذا دائم دوام السماوات والأرض، بمعنى أنّه دائم أبداً، وكذلك يقولون: «هو باق ما اختلف الليل والنّار». و«ما سمر لنا سمير»، و«ما لألأت العفر بأذنابها» يعنون بذلك كلّه «أبداً». قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة،1]، النّداء[5] بلفظ الإيمان للتشريف والتّكريم، أي يا معشر المؤمنين، يا من صدّقتم بالله ورسوله، أوفوا بالعقود أي بالعهود التي عاهدتم عليها ربّكم، من الإيمان

(1) الطّبري، أبي جعفر محمد بن جرير(-310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، تحقيق صدقي العطّار، بيروت، دار الفكر، دط، 1415ه/ 1995م، 13، 99.

(2) الصّابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسّر**، مصدر سابق، 183.

(3) الصّابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسّر**، المصدر نفسه، 1408.

(4) الطّبري، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، المصدر السابق، 12،152.

(5) الصّابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسّر**، المصدر السابق، 240.

والطّاعة، والعهود التي عاهدتم عليها النّاس، من المواثيق والعهود الدّوليّة، وعقود النّكاح، والبيع، وسائر المعاملات، أحلّ الله لكم أكل لحوم الأنعام (الإبل، والبقر، والغنم، والماعز) بعد ذبحها الذّبح الشّرعيّ، إلاّ ما حرّم الله عليكم في هذه السّورة، كالميتة، والدّم، ولحم الخنزير، أي غير مستحلّين للصّيد البرّيّ وأنتم محرمون، لأنّكم في عبادة ونسك، فنبغي أن يأمنكم كلّ شيء، حتّى الطّير والحيوان، والله جلّ وعلا، يحكم في خلقه بما يشاء، لأنّه الحكيم في أمره ونهيه.

إذا أراد الله تعالى أن يفعل ما يريد إنّما يقول له كن فيكون. قال الله تعالى﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس، 82]، إنّها[1] القدرة الباهرة التي تقول للشيء: كن فيكون أي احدُث فيحدُث، دون إمهالٍ ولا تأخير، وتنزُّه هذا الإله الخالق الجليل، عن صفات العجز والنّقص! في الآية برهان ساطع، على القدرة الإلهيّة، التي لا يعجزها أمر من الأمور، فإذا تعلّقت إرادته بشيء من الأشياء، حدث عن غير توقّف على زمن أو أسباب!

وقد أعطى الله تعالى للإنسان إرادة، لكن إرادته محدودة بما أعطاه الله تعالى من القدرة والإمكان، وعليه أن يستعمل تلك القدرة والإمكان للخير. يقول الله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾[الإسراء،18–20]، أي[2] من كان همّه الدّنيا فقط، لا همّ له غيرها، ولها يسعى ويتعب، عجّلنا له من نعيمها ما نشاء نحن، لا ما يحبُّ الهوى، ثمّ جعلنا له في الآخرة جهنّم يدخلها مهاناً حقيراً، مطروداً من رحمة الله، ومن أراد الآخرة وما فيها من النّعيم الخالد المقيم، وعمل لها ما ينبغي من الطّاعات والأعمال الصّالحة، وهو مؤمن صادق الإيمان، فهؤلاء يلقون التّكريم في دار النّعيم، ويكون عملهم مقبولاً عند الله، فمن شاء أن يعمل للجنّة فالطّريق أمامه ميسّر، ومن أحبّ أن يكون حطباً لجهنّم، فالطّريق أيضاً أمامه ميسّر وقد ترك الله للإنسان حرّيّة الاختيار.

المطلب الثاني: مفهوم الإرادة والمشيئة

المشيئة[3]: الإرادة. شئت الشيء أشاؤه شيئاً ومشاءةً ومشايةً: أردته، والاسم الشِّيئة.

(1) الصّابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسّر**، المصدر نفسه، 1112.

(2) الصابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسّر**، المصدر نفسه، 691.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، المصدر السابق، 1،103.

التّهذيب: المشيئة: مصدر شاء يشاء مشيئةً. وقالوا: كلّ شيء بشِيئة الله، بكسر الشّين، مثل شيعةٍ أي بمشيئتِه. وفي الحديث: أنّ يهودياً أتى النّبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال: «إنّكم تنذرون وتشركون، تقولون: ما شاء الله وشِئتُ. فأمرهم النّبيّ صلى الله عليه وسلّم أن يقولوا: ما شاء الله ثمّ شئتُ. المشيئة، مهموزة: الإرادة.

الإرادة[1] والمشيئة هما بمعنى واحد، وقد دلّت النّصوص القرآنيّة التي اشتملت على لفظتيّ الإرادة والمشيئة أو مشتقّاتهما، على أنّ كلّ ما شاءه الله أو أراده، فَعَلَهُ لا محالة، وعلى أنّه لو شاء شيئاً أو أراده لفعله، وعلى أنّ كلّ شيء لم يشأه الله أو لم يُرده لم يفعله، وعلى أنّ كلّ شيء شاء الله أو أراد أن لا يكون فإنّه لا يمكن أن يكون. وأنّ كلّ شيء شاء الله أو أراد أن يكون فإنّه لا بدّ أن يكون، فإرادة الله نافذة حتماً في كلّ ما يشاء وجوداً وعدماً.

«أراد» الشيء بمعنى طلبه. و«شاء» شيئاً بمعنى فعله. وكلمة «الشيء» تطلق على كل شيء. قال الله تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى،11]، أي[2] هو جلّ وعلا خالق ومبدع السماوات والأرض، ابتدأ بخلقها من غير نموذج سابق، وهو مدبّر شؤون عباده، خلق لكم زوجات من جنسكم، لتسكنوا إليهن، ويكون بينكم التناسل، وخلق من الأنعام أصنافاً، ذكوراً وإناثاً، لمصالحكم ومنافعكم.

وفعل «شاء» يفسر على حسب مفعوله. والله فاعل كل شيء، لأنه لو كان الفاعل فيه الله فهو خالق ما أراد، وإذا كان الفاعل إنسانا ففعله سواء أكان شرا أم خيرا يتحقق بمشيئة الله تعالى. قال الله تعالى﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس،99]، يقول[3] تعالى ذكر لنبيه﴿ وَلَوۡ شَآءَ ﴾ يا محمد ﴿ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا ﴾ بك، فصدّقوك أنك لي رسول وأنّ ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له حقّ، ولكن لا يشاء ذلك، لأنّه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولاً أنّه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدّقوك بما بعثك الله به من الهدى والنّور إلاّ من سبقت له السّعادة في الكتاب الأوّل قبل أن يخلق السماوات والأرض وما فيهنّ، وهؤلاء الذين عجبوا من صدق إيحائنا إليك هذا القرآن لتنذر به من

(1) حنبكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة**، دمشق، دار القلم، ط1، 1416هـ/1995م، 58.

(2) الصّابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسرّ**، المصدر السابق، 1215.

(3) الطّبري، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، المصدر السابق، 11، 224.

أمرتك بإنذاره ممن سبق له عندي أنهم لا يؤمن من بك في الكتاب السابق.

ويغيب هذا المعنى لو فسرنا «شاء» بـ «أراد». وعندها تُفهم الآية خطأ، أي أن الله تعالى لا يريد أن يهتدي بعض الناس. قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم،4]، أي[1] وما أرسلنا إلى أمّة من الأمم يا محمد من قبلك ومن قبل قومك رسولاً إلاّ بلسان الأمّة التي أرسلناه إليها ولغتهم، ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ يقول: ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه، ليثبت حجّة الله عليهم، ثمّ التّوفيق والخذلان بيد الله، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم، ويوفّق لقبوله من شاء، ولذلك رفع «فيُضلُّ»، لأنّه أُريد به الابتداء لا العطف على ما قبله، كما قيل: ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحج، 5] وهو العزيز الذي لا يمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أراد ذلك به، والحكيم في توفيقه للإيمان من وفقه له وهدايته له من هداه إليه، وفي إضلاله من أضلّ عنه، وفي غير ذلك من تدبيره.

قال الله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأنعام، 148–149].

يقول[2] جلّ ثناؤه ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريش ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ يقول: احتجازاً من الإذعان للحقّ بالباطل من الحجّة لما تبيّن لهم الحقّ، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون من الحروث والأنعام، فلو أراد الله منّا الإيمان به وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة وتحليل ما حرّم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا، ما جعلنا لله شريكاً، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا، ولا حرّمنا ما نحرّمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيمون، لأنّه قادر على أن يحول بيننا وبين ذلك، حتى لا يكون لنا إلى فعل شيء من ذلك سبيل، إمّا بأن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به وإلى القول بتحليل ما حرّمنا، وإمّا بأن يلطف بنا بتوفيقه فنصير إلى الإقرار بوحدانيّته وترك عبادة ما دون الله من الأنداد والأصنام، وإلى تحليل ما حرّمنا.

(1) الطّبري، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، المصدر السابق، 13، 237.

(2) الطّبري، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، المصدر نفسه، 8، 103- 105.

قال الله مكذّباً لهم في قيلهم: إنّ الله رضي منّا ما نحن عليه من الشّرك وتحريم ما نحرّم، ورادّا عليهم باطل ما احتجوا به من حجّتهم في ذلك: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ يقول: كما كذّب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحقّ والبيان، كذّب من قبلهم من فسقة الأمم الذين طغوا على ربّهم ما جاءتهم به أبناؤهم من آيات الله وواضح حججه، وردّوا عليهم نصائحهم. ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ يقول: حتى أسخطونا فغضبنا عليهم، فأحللنا بهم رأسنا فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إيّاه، فخابوا وخسروا الدّنيا والآخرة، يقول: هؤلاء الآخرون، مسلوك بهم سبيلهم، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدّقوا بما جئتم به من عند ربّهم. القول في تأويل قول الله تعالى ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيّه محمّد صلى الله عليه وسلّم: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربّهم الأوثان والأصنام، القائلين على ربّهم الكذب في تحريمهم ما حمّوا من الحروث والأنعام، إن عجزوا عن إقامة الحجّة عند قيلك لهم: هل عندكم من علم بما تدّعون على ربّكم فتخرجوه لنا، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره، وهم لا شكّ عن ذلك عجزة، وعن إظهاره مقصّرون، لأنّه باطل لا حقيقة له. ﴿ فَلِلَّهِ ﴾ الذي حرّم عليكم أن تشركوا به شيئاً وأن تتّبعوا خطوات الشّيطان في أموالكم من الحروث والأنعام، ﴿ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ ﴾ دونكم أيّها المشركون. ويعني بالبالغة: أنّها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتجّ بها عليه من خلقه، وقطع عذره إذا انتهت إليه في ما جعلت حجّة فيه. ﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ يقول: فلو شاء ربّكم لوفّقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة والبراءة من الأنداد والآلهة والدّينونة، بتحريم ما حرّم الله وتحليل ما حلّله، وترك اتّباع خطوات الشّيطان، وغير ذلك من طاعاته. ولكنّه لم يشأ ذلك، فخالف بين خلقه فيما شاء منهم، فمنهم كافر ومنهم مؤمن.

لم يكن من سنة الله تعالى أن يجبر الناس على الإيمان بل خلقهم وأعطاهم حريّة الاختيار، لذا استحقّ من آمن الثّواب كما استحقّ من كفر العذاب. وإلا لخلق اللهُ سبحانه الإيمانَ في قلوب الناس جميعاً فأصبحوا بذلك أمةً واحدة، وعندئذٍ لا تصلح الدنيا لتكون دار ابتلاء وامتحان. ومن أجل ذلك قلنا في تفسير الآية 149 من سورة الأنعام، المذكورة سابقاً، لو كان الله تعالى يخلق الإيمان فيكم لخلقه في قلوبكم جميعاً، فأصبحتم أمة واحدة. كما قال الله تعالى ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [هود،118–119].

يقول[1] تعالى ذكره: ولو شاء ربّك يا محمد لجعل النّاس كلّها جماعة واحدة على ملّة واحدة ودين واحد. ثمّ اختلف أهل التّأويل في الاختلاف الذي وصف الله النّاس أنّهم لا يزالون به، فقال بعضهم: هو الاختلاف الذي وصف الله النّاس أنّهم لا يزالون به، فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان. فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء ولا يزال النّاس مختلفين على أديان شتّى من بين يهوديّ ونصرانيّ ومجوسيّ، ونحو ذلك. وقال تفاعلوا هذه المقالة: استثنى من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان، فآمن بالله وصدق رسله، فإنّهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسله وما جاءهم من عند الله. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ففي ذلك دليل واضح أنّ الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف النّاس، إنّما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النّار، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرّزق لم يعقب ذلك الخبر عن عقابهم وعذابهم.

هذا، وقد استدل بعض الأفاضل على أن المشيئة من الله تقتضي وجود الشيء، بما ورد من قوله صلى الله عليه وسلّم: « ما شاء الله كان »[2] وعلى أن الإرادة منه سبحانه لا تقتضي وجود المراد لا محالة بقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وبقوله سبحانه ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر،31]. معلوم أنه قد يحصل العسر والظلم فيما بين النّاس. أقول: ويمكن المناقشة في الاستدلال بالآيتين بأن المراد بإرادة اليسر وعدم إرادة العسر في الآية الأولى الرخصة للمريض، والمسافر في الإفطار في شهر رمضان، والآية مسوّقة لذلك، لقوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة، 185] والمراد: « يريد الله بكم اليسر» في جميع الأمور، «ولا يريد بكم العسر» أي التّضيق عليكم وتكليفكم ما لا تطيقونه، وعلى التقديرين فإرادته سبحانه لم تتخلّف عن وجود المراد لا محالة في هذا الباب. وأما الآية الثانية فالمعنى أنه سبحانه: لا يريد ظلم عباده بأن يحمّلهم من العقاب ما لا يستحقونه أو ينقصهم من الثّواب عما استحقّوه. وهذا المراد أيضا لا يتخلّف عن إرادته سبحانه.

---

(1) الطّبري، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، المصدر السابق، 12، 183.

(2) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (-275ه)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، دط، دت، ح 5075، 4، 319.

المطلب الثالث: علاقة الإرادة بالنيّة

نوى الشيء نيّة ونية، بالتّخفيف، عن اللحياني وحده، وهو نادر، إلاّ أن يكون على الحذف، وانتواه كلاهما: قصده واعتقده. والنيّة: الوجه يُذهب فيه، وقول النّابغة الجعدي:

إنّك أنت المحزون في أثر الحيْ، فإن تنوِ نيهم نُقمِ

قيل في تفسيره: نيّ جمع نيّة، وهذا نادر، ويجوز أن يكون نِيّ كنيّة. قال ابن الأعرابيّ: قلت للمفضل ما تقوله في هذا البيت؟ يعني بيت النّابغة الجعدي، قال: فيه معنيان: أحدهما يقول قد نَوَوْا فراقك فإن تَنْوِ كما نوَوْا نُقم فلا تطلبهم، والثاني قد نوَوا السّفر فإن تنوِ كما نَوَوا نُقم صدور الإبل في طلبهم. فالنيّة هي عزم القلب على شيء، وهي عبارة عن قصد الطاعة والتّقرّب إلى الله تعالى في إيجاد الفعل[1].

قد وردت الإرادة على معنى النّية أيضاً في الحديث الشّريف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّ الله عليه وسلّم قال: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً. وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً. فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا .“فهذا الحديث يبين أن الإنسان يجزى على إرادته الصالحة، فإن الحسنة كُتبت له بمجرد الإرادة، لأن إرادة الخير سبب إلى العمل، وإرادة الخير خير، لأن إرادة الخير من عمل القلب.

ولذلك فإن ما يقوم به الإنسان من أعمال صالحة متحققة ومشروطة بالنيّة والإخلاص، لقبول هذه الأعمال، فقد جاء في الحديث عن النبي صلّ الله عليه وسلّم قال: «إنّما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى» فما يقوم به الإنسان من صدقةٍ أو صلاةٍ أو صيامٍ أو غير ذلك من أعمال الخير، فإنه غير مقبول عند الله سبحانه وتعالى ما لم تصحبه النيّة الصالحة والإرادة المتوجّهة نحو مرضاة الله سبحانه، وابتغاء ثوابه وجنته.

قال سبحانه وتعالى﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [هود،15–16]. يقول[2] تعالى ذكره﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ﴾ بعمله ﴿ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وأثاثها ﴿ وَزِينَتَهَا ﴾ يطلب به، ﴿ نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ ﴾ أجور ﴿ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾ وثوابها ﴿ وَهُمۡ فِيهَا ﴾ يقول: وهم في الدّنيا ﴿ لَا يُبۡخَسُونَ ﴾يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفّونه فيها. ويقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفّيهم أجور أعمالهم في الدّنيا ﴿ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، 15، 347.

(2) الطّبري، أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، المصدر السابق، 12، 16.

ٱلنَّارُ ﴾ يصلونها، ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ يقول: وذهب ما عملوا فيالدني ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾لأنّهم كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله عامله أجره.

المبحث الثاني: صفة وشروط وأنواع الإرادة

المطلب الأول: صفة الإرادة[1]

إنّ الله هو خالقنا ومصوّرنا، فهل يمكن عقلاً أن يهبنا الخالق العظيم صفة الإرادة الجزئيّة المحدودة ، ويكون هو غير مريد وغير مختار؟! بمعنى أن تكون أفعاله مكرهاً عليها، أو تجري منه بالطبع دون أن تكون له القدرة على التغيير والتبديل؟! إنّ هذا أمر مستحيل عقلاً، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

لذلك فإننا نعتقد أنّ صفة الإرادة، وهي من صفات الكمال عقلاً، لا بدّ أن تكون من صفات الله سبحانه وتعالى، الذي خلقنا ومنحنا صفة الإرادة الجزئيّة المحدودة.

ولكن ينبغي أن لا يغيب عن بالنا أنّ إرادة الله جلّ وعلا ليست مثل إرادتنا الصّغيرة، المحدودة في نطاقها الضّيّق، بل هي شاملة، تتعلّق بما يريده الخالق من جميع الأمور الممكنة عقلاً. وقد وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم بأنّه مريد مختار، قال الله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ﴾[القصص،68]. وقال تعالى ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[البقرة،253]، وقال تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود، 107].

الفرق بين صفتيّ القدرة الإرادة، أنّ الإرادة صفة من شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه في العقل، كالوجود والعدم، والماديّة والمعنويّة، والطول والقصر، واللّيونة والصّلابة، والقبح والجمال، والذّكاء والبلادة، ونحو ذلك مما لا يُحصى. وأمّا القدرة فهي صفة من شأنها تنفيذ ما خصصته الإرادة، كإخراج الممكن من العدم إلى الوجود فعلاً إذا توجّهت الإرادة لإيجاده، أو صرفه من الوجود إلى العدم إذا توجّهت الإدارة لإعدامه.

قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل،40] فهذه الآية تدلّ على أنّ تنفيذ الإيجاد إنّما يكون بعد تخصيص الإرادة. وقال الله تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى،29] وهذه الآية تدلّ أيضاً على أن جمعهم بقدرته تعالى إنّما يكون بعد مشيئته.

ثم إنّ من يلاحظ أنّ الله يفعل ما يشاء ويختار، ويراقب ذلك في نفسه باستمرار، ويضع

(1) حنبكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **العقيدة الإسلاميّة وأسسها**، دمشق، دار القلم، ط17، 1438هـ/2016م، 146.

نصب عينيه وقلبه أنّ إرادته تعالى غلاّبة، وأنّ مشيئة كل ذي مشيئة تابعة لمشيئته تعالى. إنّ من يلاحظ ذلك ويراقبه في حياته يعمل دائماً على أن يرضى ويحب ما أراده الله له ورضيه، من صحّة أو مرض، من غنى أو فقر، من ورع أو خفض، من لذّة أو ألم، مع سعيه في دفع أو رفع ما أمر الله أو أذن بدفعه أو رفعه، ثمّ يريح نفسه بالرّضا عن مراد الله. وهو يسأل الله الخير حيث كان، ويعلم أنّه لا قدرة له، ولا لأحد غيره، على تحقيق مراد لم يرده الله في كونه. وفي التّحقق بهذا المقام بلوغ سعادة عظمى في الّدنيا والآخرة، للفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: شروط الإرادة[1]

لم يحظَ تحليل الإرادة بالعناية التي تتّفق والدور الذي تلعبه في الحقل القانوني، غير أنه يمكن القول إن الإرادة في جوهرها ظاهرة نفسية يعبر عنها صاحبها، فينتج عن هذا التعبير آثار قانونية، وإذا كانت الإرادة بطبيعتها قصدًا وتصميمًا فإن العمل الإرادي يمر في:

1. مراحل التصوّر، وهي عمليّة عقليّة تدور حول تصوّر مضمون الإرادة وتحديد موضوعها.
2. مرحلة التدبّر التي تدور حول الموازنة بين مختلف الاحتمالات التي يمكن أن تتّجه إليها الإرادة، ثم اختيار واحد منها.
3. مرحلة التّصميم أو الانفعال الإرادي، وهو جوهر الفعل الإرادي.
4. مرحلة التنفيذ، حيث ينقل صاحب الإرادة تصميمه الداخلي إلى الحيز الخارجي عبر طريق التعبير عنه.

إذا كان واضحاً أن العناصر الداخلية في الإرادة ترتكز على القوى العقليّة والملكات النفسيّة فإن لازم ذلك أنه لا يكفي للاعتداد بالإرادة مجرّد التّعبير عنها في الشّكل الذي يقرّه القانون، بل لا بد من أن تتوافر في صاحبها العناصر التي يراها القانون كفيلة بتوافر القدر المناسب للقدرات العقليّة والملكات النفسيّة، وإذا كانت تلك القدرات وهذه الملكات ترتبط بدرجة من النّضج العقلي توفّره في العادة سِنٌّ معينة، مع الخلوّ من الآفات التي تحدّ من الحريّة أو تقلّل من التبصّر، فإنه يشترط للاعتداد بالإرادة عنصر الأهليّة والسّلامة من العيوب، وهي الغلط والإكراه والتدليس.

تعرف الإرادة لغة: «بأنها المشيئة، مما يعني بأنها قوة في النفس تمكن صاحبها من

(1) محمد، سامح عبد السلام، **ما المقصود بالإرادة؟**، أخذت من موقع https://:ly.bit/2W5N1jV

اعتماد أمر ما وتنفيذه. ويشترط في الإرادة، سواء أكانت إيجابًا أم قبولاً حتى ينشأ عنها الرضا، عدة شروط، وهي:

1. أن تكون الإرادة موجودة، فإذا انعدمت الإرادة انعدم الرضا، ومن الحالات التي تنعدم معها الإرادة حالة انعدام التمييز، إمّا لصغر السّن، وإما لجنون، كما تنعدم لأسباب أخرى، كانعدامها بسبب السُّكْر، أو تحت تأثير التنويم المغناطيسي، أو بسبب الإكراه المادي.

2. أن تتجه الإرادة إلى إحداث أثر قانوني، بمعنى أن تصدر من صاحبها بنية إحداث أثر قانوني، وذلك لما للإرادة من دور هام في إنشاء الالتزام، وهذا ما أكدته محكمة النقض المصريّة حينما نصّت على أنّ الإرادة ركن من الأركان الأساسيّة لأيِّ تصرّف قانونيّ، لذلك لا يعتد بالإرادة في بعض الحالات، ومنها:

- إذا كانت الإرادة غير جديّة، كإرادة الهازل، ومن لم يقصد باللفظ الصادر عنه معناه الحقيقي أو المجازي، وكذلك الإرادة المعلّقة على شرط إراديّ شخصيّ، كأن يقول شخص لآخر: أبيعك سيارتي إذا أردت، ففي هذه الأحوال لم تتجه الإرادة إلى إحداث أيِّ أثر قانوني.
- إذا كانت الإرادة مقصودًا بها المجاملات، وذلك لأن أعمال المجاملات لا تنشئ عقودًا، كما لو قام شخص بدعوة صديق له – مثلاً – إلى تناول وليمة غداء، فقبول الصديق في هذه الحالة لا ينشئ مسؤولية على الداعي، كما لو تخلف الصديق فلا مسؤولية عليه كذلك.
- إذا كانت الإرادة مقصودًا بها الدعاية فقط، كمن يعلن، مثلاً، أنه يوجد لديه شقة للبيع من دون أن يحدّد السّعر، في هذه الحالة تكون الإرادة اتّجهت فقط للدّعاية، ولم تتّجه إلى إحداث أثر قانوني، وهو البيع.

3. أن تكون الإرادة غير مخالفة لما تنصبّ عليه من موضوع وما تهدف إليه من غاية لقواعد القانون الآمرة، أي: أن يكون محلّها وسببها غير مخالفين للقانون، أي: مشروعين.

المطلب الثالث: أنواع الإرادة[1]

لقد أدى عدم الفقه إلى زلل طوائف كثيرة في أبواب القدر، وهذا الأصل هو: التمييز

(1) عيدندا، أبي عمر عبد العزيز بن فتحي بن السّيّد، **العقيدة الإسلاميّة الميسرّة وآثارها في حياة المسلم**، دمشق، الدار المتّحدة، ط1، 1423هـ/2002م، 130.

بين ما هو شرعي ديني من الإرادة والأمر والحكم والقضاء وغيرها، وبين ما هو كوني قدري منها، وفي بيان هذا ننقل كلاما نفيسا لابن تيمية، يقول فيه: لكن ينبغي أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين:

الإرادة الأولى: هي «الإرادة الشرعيّة الدينيّة»، وهي ملازمة للمحبّة والرّضا، وهي ما أمر الله به شرعاً في الكتاب والسّنة، ومما يشير إليها قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء، 136]، وقوله تعالى ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾[الزمر،7]، وهكذا كل ما هو مأمور به، أو منهي عنه في الكتاب والسّنّة– فإنه مندرج في باب الإرادة الشّرعيّة الدينيّة.

والإرادة الثانية: وهي «الإرادة الكونيّة القدريّة». وهي المشيئة، وتتعلّق بالخلق، وتستلزم الرضا، وهي التي تكون وتخلق بها الأشياء، ومما يشير إليها قوله تعالى ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الأنعام،39]، وقوله تعالى ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة،253]، وقوله عزّ وجل ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس،82]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً. وأهم الفروق بينهما كما يلي:

1 – الإرادة الشّرعيّة تلازم المحبّة والرضا، وأمّا الإرادة الكونيّة فهي ترادف المشيئة ولا تستلزم الرضا، وقد يريد الله شيئاً بإرادته الكونيّة – مثل كفر الكافر، وفجور الفاجر – وهو لا يحبّه ولا يرضاه شرعاً، وذلك لحكمة إلهيّة مقدّسة.

2 – الإرادة الشّرعيّة قد تتحقق إذا استجاب المأمور لأمر الله، كما لو آمن الكافر، أو استجاب المؤمن للأمر والنّهي، أو رفض الكافر الإيمان. وأمّا الإرادة الكونيّة فلا بدّ من تحققها ونفاذها، كخلق شيء أو إفنائه، أو إنزال المطر، أو حصول الكفر والمعاصي، إذا أراد الله وقوعها من أهلها، لحكمة بالغة أرادها الله عزّ وجلّ.

3 – الإرادة الشّرعيّة عند الله تعالى تكون خيرا لأفعال الخير والطاعات فقط، لأنّها هي الأشياء التي يحبّها الله ويرضاها، ويأمر بفعلها، وينهى عن تركها. وأمّا الإرادة الكونيّة فهي تشمل الخير والشّر، والطّاعات والمعاصي، وذلك لأنّ الله تعالى قد يريد فعل شيء، أو حدوث أمر لحكمة ما، وهو يكرهه شرعاً ولا يرضاه، ككفر الكافر، حتى يكون مستحقاً للعقاب، ولكي يبلو المؤمنين والكافرين بعضهم ببعض، وغير ذلك من الحِكَم.

فمن اتّفقت في حقّه الإرادتان كان من أهل السّعادة، ومن اختلفت في حقّه الإرادتان كان من أهل الشّقاء، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ما قلنا بين الإرادة الشّرعيّة والقدريّة لأنّ النّصوص صريحة في أنّ الله تعالى لا يحبّ الكفر، ولا الزّنا، ولا الفسوق، ولا القتل، ولا ما هو من جنسه، ولا يرضى به. بل ينهى عنه، ويأمر باجتنابه، ثمّ رأينا كل ذلك واقعاً في العالم، يرتكبه كثير من النّاس. وكذلك رأينا أنّ الله تعالى يأمر النّاس بالإيمان، واتّباع رسوله صلّى الله عليه وسلّم ويأمرهم بالصّلاة، والزّكاة، ونحوها. ثمّ رأينا كثيراً من النّاس يخالف أمر الله تعالى، ولا ينقاد لأمره ولا لنهيه، فلو قلنا إنّ أفعالهم من ترك المأمور وفعل المحظور، كائنة بإرادة الله تعالى الشّرعيّة، كنّا مكذّبين للنصوص التي ورد فيها الأمر والنّهي، ولو قلنا إنّ أفعالهم هذه كائنة بغير إرادة الله الكونيّة لكان معنى ذلك أنّ إرادة النّاس قد غلبت إرادة الله تعالى، وأنّهم قد أنفذوا ما أرادوا على الرّغم منه– سبحانه– وهذا ضلال مبين.

فلهذا جزمنا بأنّ الشّرّ والمعاصي لا تحدث برضا الله، ولا بأمره الشّرعي، وإنّما تحدث بالإرادة الكونيّة القدريّة، التي لا يستطيع أحد لها رداً، ولا يجد عنها محيصاً، ثمّ لمّا رأينا النّصوص الكثيرة، التي تثبت أنّ الضّلال والكفر، والمعاصي كل ذلك كائن بإرادة الله تعالى، ومشيئته، لحكمة بالغة، يستحق الحمد عليها– سبحانه– حينئذٍ فرّقنا بين ما يحبّه الله تعالى شرعاً، ولكن لا يريد وقوعه قدراً– كإيمان الكافر، وطاعة الفاجر– وبين ما يبغضه شرعاً، ولكنّه أراد وقوعه قدراً–ككفر الكافر، وفجور الفاجر– ولا تنحل هذه الإشكالات كلّها إلاّ بالتّفريق بين الإرادة الشّرعيّة والقدريّة، ولكن لا يفقه هذه المسألة إلاّ من هداه الله تعالى للصّواب، وألهمه الرّشد والسّداد، وأنار قلبه وبصيرته لفهم ذلك، والله الهادي إلى سواء السّبيل.

المبحث الثالث: الإرادة في القضاء والقدر

المطلب الأول: علم الله بما سيقوم به الإنسان من إرادات وأفعال اختيارية[1]

بالإضافة إلى ما سبق، من إحاطة علم الخالق جلّ وعلا بكشف الواجب عقلاً والمستحيل عقلاً، وبما مضى أو لم يمضِ من الأمور الممكنة عقلاً، فمن خصائص علم الخالق جلّ وعلا أنّه يحيط أيضاً بما سيريده الإنسان بإرادته الحرّة من أمور، وبما سيعمله بموجب هذه الإرادة من أفعال، ومثل الإنسان غيره من المخلوقات التي وهبها الله حرّيّة الإرادة. وعلم الله جلّ ثناؤه بذلك إنّما كان على سبيل الكشف العلمي الذي لا يؤثّر في المعلوم أي أثر من خلقٍ أو غيره.

(1) حنبكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، المرجع السابق، 645.

أمّا كيف يكشف الله جلّ وعلا ذلك؟ فهو من خصائص الرّبوبيّة مع العلم بأنّه من الأمور الممكنة عقلاً، التي لا يعتبرها العقل من المستحيلات، فكما أنّ الله قادر على أن يخلق من العدم، فهو قادر على أن يعلم ما سيريده أي مخلوق من مخلوقاته التي منحها بمحض فضله إرادات حرّة.

من هنا تدخل الشّبهة على بعض النّاس، وهذه الشّبهة ناشئة من عجزهم عن فهم الوسيلة أو الطّريقة التي يعلم الله بها ما سيريده الإنسان بإرادته الحرّة، ولكنّ هؤلاء النّاس الذين دخلت عليهم الشّبهة من هذا الباب، لا بدّ أن يؤمنوا ويسلموا متى رجعوا إلى عقولهم، وعلموا أنّ عقولهم تعجز أيضاً عن فهم الوسيلة أو الطّريقة حتى أوجد الله بها الكون من العدم، كما تعجز أيضاً عن فهم كثيراً من الأمور حتى لا يخلو الكون منها على أيّ احتمال من الاحتمالات حتى يقدّرها الفكر.

بهذه الشّبهة انحرف الجبريّون متوهّمين أنّ علم الله السّابق بما سيختاره الإنسان مؤثّر في اختياره، ولذلك نفوا الكسب عن الإنسان، وقالوا: «هو كالرّيشة في الهواء، وخالفوا فيما ذهبوا إليه مقتضى النّقل في النّصوص الصّحيحة الصّريحة التي تثبت كسب الإنسان وتكليفه، كما خالفوا مقتضى العقل الذي يثبت حكم الله البالغة، وعدله التّام.

وبهذه الشّبهة أيضاً انحرف بعض المعتزلة متوهّمين أنّ عالم الله السّابق بما سيختاره الإنسان مؤثّر في اختياره، ولذلك نفوا سبق العلم، ليثبتوا الكسب التّام للإنسان في الاختيار، والعمل والتّأثير في تحقيق النّتائج، فخالفوا في ما ذهبوا إليه مقتضى النّقل في النّصوص الصّحيحة الصّريحة، مكتفين بتحكيم العقل المجرّد، وما أكثر ما يخطئ العقل في الأمور الاعتقاديّة وغيرها، إذا لم تتر سبيله في البحث النّصوص الدّينيّة الثّابتة!!

المطلب الثّاني: إرادات الله لا تناقض فيما بينها ولا تعارض[1]

ومتى أثبتنا أنّ الله جلّ شأنه قد أراد أن يجعل الإنسان ذا إرادة حرّة، وأن يجعله مخيّراً في بعض أموره، ليمتحنه ويبتليه في الحياة الدّنيا، ثمّ أتبع ذلك بتكليفه ضمن حدود استطاعته، استحال في الوقت ذاته أن يريد سلب هذه الإرادة الحرّة عنه، وأن يجعله في الوقت نفسه مسيّراً كالرّيشة في الهواء، لا إرادة له ولا اختيار ولا استطاعة، ثمّ يكلّفه في الوقت نفسه بما لا يستطيع، ثمّ يحاسبه على ما لا كسب له فيه.

ويتّضح ذلك لنا إذا لاحظنا الأمور التّالية ملاحظة تامّة:

- **الأمر الأول:** إرادات الله تعالى لا تناقض في ما بينها ولا تعارض.

(1) حنبكة الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، المرجع السابق، 646.

فاذا تعلّقت إرادته تعالى بشيء معيّن استحالت أن تتعلّق في الوقت نفسه بنقيض ذلك الشيء أو بضدّه، بحيث يؤدّي إلى جمع النّقيضين أو الضدّين في شيء واحد ووقت واحد.

بناء على ذلك فلا يمكن أن يريد الله مثلاً حياة إنسان في اللحظة التي يريد فيها موته، كما لا يمكن أن يريد الله أن يجعل الإنسان المكلّف حرّ الإرادة أمام عمل من الأعمال في اللحظة التي يريد أن يجعله فيها مسلوب الإرادة أمام ذلك العمل نفسه.

أمّا أن يريد أن يجعله مخيّراً في دائرة أعماله وكسبه، مجبراً في ما عدا ذلك، فهو من الأمور المقبولة عقلاً التي لا تناقض بينها ولا تعارض، وبذلك يحاسبه على ما اكتسب في دائرة تخييره.

- **الأمر الثاني:** إرادات الله تعالى لا تكون في واقع حالها إلاّ موافقة لعلمه وحكمته كما يبق بيان ذلك، وليس من حكمته تعالى أن يكلّف عبداً من عباده إلا في حدود استطاعته، ومن لا إرادة له لا استطاعة له، لذلك فالإنسان المكلّف لا بد أن يكون ذا إرادة حرّة تصحّح تكليفه وفق علم الله وحكمته.
- **الأمر الثالث:** إذا اختار الإنسان أمراً مهمّاً جعل الله له فيه سلطة الاختيار، فإنّ اختياره لذلك الأمر لا يعاند إرادة الله في شيء، لأنّ الله تعالى هو الذي أراد أن يمنحه هذه السّلطة.

كما أنّه لا يقتضي أن يكون الله جلّ وعلا راضياً عن كل ما يختاره هذا الإنسان ويظهر لنا ذلك في تجاربنا الإنسانيّة: فإنّ من نمنحه حريّة التصرّف في عملٍ ما، قد يفعل ما يسرّنا ويرضينا وقد يفعل ما يسوؤنا ويغضبنا، مع إمكاننا أن نعزله عن ذلك العمل ونسلبه حريّة التّصرّف فيه، ولكننا نمدّ له لنمتحنه ونختبره، وقد نوبّخه ونؤدّبه، وقد ننذره ونحذّره، حتى يحين وقت مؤاخذته، ونحن في كل ذلك نشاهد سوء تصرّفه. وقد نرى من الحكمة لامتحانه أن لا نعارضه، أو نضع العراقيل في طريقة، أو نكفّه عن العمل الذي منحناه فيه حرّيّة التّصرّف. وقد نرى من الحكمة أن نملي له ليصلح من تصرّفه ويقوّم من سلوكه.

وعلى ذلك فلا يقال: قد وقع مراد المخلوق معانداً لإرادة الخالق، لأنّه كيف يتمّ الجمع بين منح الإنسان حرّيّة الإرادة بإرادة الله وبين إرادة الله العامّة المهيمنة على كلّ شيء، إلاّ بأن يترك الله لهذا المخلوق حرّيّة التّصرّف في الحدود التي لا تعارض القضاء والقدر العام، وذلك ليمتحنه ثمّ ليحاسبه على ما اكتسب؟!

وإنما يقال: إنّ المخلوق لم تتم له إرادة حتى منحه الله حرّيّة الإرادة، فإرادة الإنسان في أمر من الأمور لا تكون إلاّ بعد أن تتم إرادة الله وقدرته بمنحة هذه السّلطة: بمنحه جهاز الإرادة والاختيار. وعلى ذلك يمكن أن نفهم قوله تعالى: «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله»، أي لا تستطيعون أن يكون لكم مشيئة إلاّ إذا منحكم الله السّلطة التي بها يكون لكم مشيئة واختيار، ضمن الحدود التي قرّرها الله عزّ شأنه في قضائه وقدره.

المطلب الثالث: الإنسان مسيّر أم مخيّر؟ [1]

يرى بعض العلماء الذين بحثوا في موضوع التّسيير والتّخيير أنّه من الألغاز أو الأسرار التي تحيط به من كل جانب، لذا لا بد أن يشغل تفكير أصحاب العقول الناهدة إلى المعرفة، وكشف الجواهر الوجوديّة في هذا العالم العامر بالألغاز والأسرار الخفيّة. وإذا نجح أحدهم في رفع النّقاب عن بعض الجوانب، فقد يفشل مرات ومرات في كشف النقاب عن باقيها.

ليس لنا إلا أن نقول بكل صراحة واتّزان ما أضعف عقل الإنسان تجاه هذه المعجزات، ولا غرابة في ذلك لأنّ هذا العقل من صنع هذه المعجزات نفسها، وهو في ذاته سرّها الأكبر، ولازم لها لزومها له، باعتبارها الصّلة الوحيدة التي بمقدورها ان تفسّر معالم هذا الكون العجيب.

وليست حرّية الاختيار التي تعرضنا لها غير هذا المكان سوى ابتداء حقيقة كونيّة. وهذا لا يعني أنّه يبرز تعارضاً حقيقياً مع التسيير، فالتسيير حقيقي كالتخيير تماماً. فهما حقيقتان كونيّتان واضحتان، ولكنّهما تجتمعان ولا يمكن أن تنفصل إحداهما عن الأخرى سواء في أهم المشاكل أم في أسهلها.

ولا يمكن أن نذهب مثلاً إلى أنّ الإنسان مسيّر مرّة ومخيّر مرّة أخرى، أو أنّه مسيّر في الأحداث الهامّة كالولادة، والزّواج، والوفاة، ومخيّر في الأحداث البسيطة كالعمل، والقول، والبكاء، والضّحك. أو أنّه مخيّر عندما تسير أحداث الحياة بحسب رغبته وهواه، مسيّر عندما تسير هذه الأحداث نفسها في اتّجاه مضاد لرغبته وهواه. فمن الخطأ الشّائع ما تعوده البعض من أن يسند الأحداث الحسنة إلى إرادته الخاصّة ويسند الأحداث السّيئة إلى إرادة الله تعالى، أو إلى القضاء والقدر. فهذا هو بعينه الغباء والغرور.

ويلاحظ[2] أن أي نوع من الفصل بين الحالات المحدّدة للتّسيير وأخرى محدّدة

(1) غالب، مصطفى، **الإرادة**، بيروت، دار مكتبة الهلال، دط، 1980م، 135.

(2) غالب، مصطفى، **الإرادة**، المرجع نفسه، 139.

للتّخيير لا سند له من الحقيقة، لأنّ التّسيير والتّخيير يكمّل أحدهما الآخر في كل حركة من حركات الكون. فهما لحمة الإرادة يتقاطعان في كل خيط من نسيج هذه الإرادة. واجتماعهما معاً لازم لهذا النّسيج، ولا يتصوّر حدوث تخيير في أي أمر إلا في نطاق تسيير معيّن يكمله أو يوقفه ويحد منه، وذلك كله رهن بمدى توافق التّخيير مع التّسيير الذي هو تعبير في النّهاية عن نواميس الطبيعة التي تهيمن على سير أحداث الحياة حلوها ومرّها معاً، في كل مستوى من مستوياتها.

ولكي نؤكّد فهم التّخيير والتّسيير في أسهل عمل يقوم به الإنسان بأسلوب يكاد يكون غير واعي وهو التّنفّس. فنحن بمقدورنا أن نتنفّس بسرعة أو ببطء، وأن نتنفّس تنفّساً سطحيّاً أو عميقاً، ولكن كل هذا له آثار فسيولوجيّة محتومة على صحّتنا قد لا تظهر سريعاً، ولكنّها تظهر حتماً بصورة من الصّور في يوم من الأيام. فحرّيتنا في التنفّس حكومة في النّهاية بنواميس الصحّة والمرض. ومثلها حريّتنا في تناول الطعام، وفي العمل، وفي الفكر، وفي أداء كل وظائف الحياة الماديّة والشّعوريّة. ولهذا كلّه يمكن أن يقال بأنّ ما يريده الإنسان ما دام متّسقاً اتساقاً صحيحاً مع نواميس الحياة المادية والشّعوريّة، يريده الله أو أن شئت القدر عن طريق نفس هذه النّواميس. فإرادة الإنسان من إرادة الله، كما أنّ هذه النّواميس ليست سوى تعبير لا يقبل الشّك عن هذه الإرادة الشّاملة التي تسمو على كل إرادة أخرى. أمّا الحياة السّلبيّة السّاكنة فليست من إرادة الله في شيء بل هي من أفعال الإنسان الخامل المتواكل الذي يريد التّنصّل من تبعة خموله وتواكله فليلقي بها على الله تعالى وعلى القدر.

يستدل مما قدّمناه عن التّسيير والتّخيير أنّ الإنسان يكون مسيّراً مخيّراً في كل أمر، وفي أيّة لحظة من لحظات حياته. فهو مخيّر بقدر ما يملكه من إرادة عاقلة حرّة، وهو مسيّر ما هو محكوم بهذا النّاموس الطّبيعي الذي لا يمكن أن يتخلّص منه، وهو ناموس الأسباب والمسببات أو ارتباط النّتائج ارتباطاً طبيعيّاً بمقدّماتها، وارتباط ماضيه بحاضره، وحاضره بمستقبله ارتباطاً ينطوي على مجموع من النّواميس الماديّة والشّعور اللازمة للحياة في كل صورها ومستوياتها.

وفي ضوء هذه الآراء يمكننا أن نجزم بعدم وجود التّعارض بين التّسيير في معناه العلمي والتّخيير إلاّ إذا صح إمكان القول بالتّعارض بين القطبين الكهربائيين السّالب والموجب، مع أن أحدهما يكمّل الآخر، وكل منهما لازم للآخر واجتماعهما معاً لازم لكل نشاط كهربائي، كما أنّ اجتماع التخيير والتّسيير معاً لازم لأي نشاط إرادي في

هذا الوجود غير المحدود، وأي كان مصدر الإرادة بين القوى العاملة فيه، وسواء أكانت تنتمي إلى مستوى الإنسان فيه، أم إلى مستوى أسمى منه أم أدنى.

والفصل بين دور التسيير ودور التخيير في هذا المستوى هو أمر من صنع مداركنا القاصرة فحسب، تشعر به كما تشعر بانعزال في الإحساس بالمكان عن الإحساس بالزّمان، فيظهر لنا المكان مصدراً لتقييد حركتنا، ويظهر لنا الزّمان مصدراً لإحساسنا بمضي الوقت، وبسيرنا نحو الفناء. ذلك مع أنّ الطبيعة لا تعرف إلا حريّة الحركة، وإلا القدرة على البقاء. فهي لا تعرف مكاناً يقيّد نشاطها، ولا فناء يهدد وجودها، أي لا تعرف زماناً ولا مكاناً، ولا كياناً حقيقيّاً لهما. والتّسيير بموجب نواميس الطّبيعة، وهي لا تخرق أبداً، والتّخيير، بمقتضى الإرادة العاملة الحرّة، التي قد تعارض هذه النّواميس، قد يمثّلان صورة من التّناقض الظّاهري الذي لاحظه بعض العلماء في نواميس الحياة. هذا التّناقض الذي ينحل في أمر جديد، فهو تناقض حسّي ولفظي فقط كالقول بأن المكان موجود وغير موجود، المادة شيء وليست شيئاً.

فهما موجودان في مستوى معيّن للوجود غير موجودين في مستوى آخر له، لأنّهما في واقع الأمر متداخلان تماماً في حقائق الطبيعة حسبما وصلت إليه الفلسفة عن طريق الإلهام من قدم، ثمّ أثبتته الرّياضة الحديثة، وبخاصّة النّظريّة النّسبيّة في اهتدائها للبعد الرابع الذي يندمج فيه الزّمان مع المكان في حقيقة كونيّة واحدة تمثّل أسلوب الحياة الحقيقي وهو رباعي الأبعاد كما سبق أن ذكرنا.

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن إحساسنا المنعزل بالمادة عن الفراغ، مع أنّ المادة أصبحت تمثّل الآن فراغاً أثيريّاً، والفراغ الأثيري أصبح يمثّل مادة حقيقيّة. ومثله يمكن أن يلاحظ عن إحساسنا المنعزل بالحركة عن السّكون أنّهما متداخلان معاً، وما يظهر لنا صلباً ساكناً كالمادة الصّلبة متحرّك في حقيقته في صورة اهتزازات.

فاجتماع الزّمان بالمكان، واجتماع المادة بالفراغ، واجتماع السّكون بالحركة، كلّ ذلك لازم لنجاح الحياة كاجتماع التّسيير بالتّخيير ولا محل للفصل بينهما في نواميس الحياة، ولا لأن نتصوّر أنّ بينهما تضارباً محتوماً، فلا ينفي أيّهما الآخر إذا بل يكمّله ويتداخل فيه، حتى وإن ظهر لحواسنا القاصرة أنّ ثمّة تضارباً بينهما فانقسم العلماء إلى مؤمن بالتّخيير وآخر مؤمن بالتّسيير وبدا لعدد منهم أنّه لا محل لإمكان التّوفيق بينهما.

الخاتمة

الأمة الإسلامية بحاجة إلى من يتقن الحديث عن الإرادة الإنسانية، وميادينها، والعوامل المؤثرة فيها، فيعلّمها للناس، ويصحّح إرادتهم ومقاصدهم، فإن مشكلات العصر كلها ما هي إلاّ نتائج للإرادات الفاسدة التي تحياها الأمة كإرادة الفجور، والخيانة، والإلحاد، واتّباع الهوى والشهوات.

لقد توصّلت خلال هذا الجهد المتواضع إلى مجموعة من نتائج، والتي تعد ثمرة البحث وخلاصته أقتصر على ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

إنّ الإنسان يعيش في هذه الحياة الدنيا خاضعاً لمشيئة الله تعالى ضمن دائرتين، الأولى تتمثل في الإرادة الكونية، وهذه الدائرة لا اختيار للإنسان في حدودها، لأنه يسير ضمنها مجبراً، ولذلك لا يحاسب ولا يسأل عما تضمّنته هذه الدائرة، أما الدائرة الثانية، فهي دائرة الإرادة الشرعية الدينية المتمثّلة في الأمر والنّهي الشرعيين، فهي مناط التكليف والحساب، ولذا فهو يفعل إن شاء، ويترك إن شاء، ولكنه يحاسب ويعاقب على ما تضمّنته هذه الدائرة لأنها تتعلّق بالأوامر والنّواهي والتّشريعات.

إنّ الإنسان في أعماله وتصرفاته الاختيارية كلها إنّما يتحرّك ضمن دائرة الإرادة الإلهيّة، لا يتخطّاها ولا يتجاوزها، فليس هناك أي تعارض بين كون الإنسان مختاراً مريداً في أفعاله وتصرّفاته وبين كونه لا يتخطّى الإرادة الإلهيّة، وليس الأمر كما يظن بعض السطحيين من أن فعل الإنسان ما دام حاصلاً بإرادة الله تعالى فليس له فيه إذاً حرية ولا إرادة ولا اختيار.

إنّ على الإنسان أن يعرف قدر نعمة الله عليه بأن وهبه الإرادة وحرية الاختيار، فيستعمل ذلك في ما يعرج به إلى مستوى الكمال فتكون أعماله صالحة رافعة له، ونافعة لغيره. إن من هدي الإسلام أن يطلب المرء خيرَيِ الدنيا والآخرة، فقد جعل الله لنيل ثواب الدنيا سنناً، ولنيل ثواب الآخرة سنناً، والإنسان يطلب ويريد بحسب سعة علمه وعلو همته ودرجة إيمانه وله ما يريد كله أو بعضه بحسب سنن الله وتدبيره لنظام الحياة.

النيّة في القرآن الكريم أصل وعماد، قامت على أساسه أعمال العباد، وترتّب عليه قبولها عند الله تعالى، فثبتت أجور أعمالٍ لم تكن ظاهرة، في حين حبطت أعمال عظيمة عند فساد باعثها، فعلى الإنسان أن يجعل نيّته وإرادته خالصة لله تعالى فإن الله يجزي الإنسان على نيته وإرادته.

المصادر والمراجع

– ابن منظور، محمد بن مكرم (–711هـ)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ/1994م.

– أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (–275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، دط، دت.

– البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (–256هـ)، **صحيح البخاري**، بيروت، دار إبن كثير، ط1، 1423هـ/2002م.

– البرجاني، علي بن محمد (–816هـ)، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1413،2هـ/1992م.

– حنبكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة**، دمشق، دار القلم، ط1، 1416هـ/ 1995م.

– حنبكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **العقيدة الإسلاميّة وأسسها**، دمشق، دار القلم، ط17، 1438هـ/2016م.

– الصّابوني، محمّد علي، **التّفسير الواضح الميسّر**، بيروت، مؤسسة الرّيّان، ط1، 1422هـ/2001م.

– الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير (–310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن**، تحقيق صدقي العطّار، بيروت، دار الفكر، دط، 1415هـ/ 1995م.

– عيدندا، أبي عمر عبد العزيز بن فتحي بن السّيّد، **العقيدة الإسلاميّة الميسّرة وآثارها في حياة المسلم**، دمشق، الدار المتّحدة، ط1، 1423هـ/2002م.

– غالب، مصطفى، **الإرادة**، بيروت، دار مكتبة الهلال، دط، 1980م.

– الفارابي، محمود بن أحمد (–607هـ)، **تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق**، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، بيروت، دار أبن حزم، ط1، 1421هـ/2000م.

– الفيومي، أحمد بن محمد (–770هـ)، **المصباح المنير**، تحقيق يوسف محمد، بيروت، المكتبة العصريّة، ط1، 1417هـ/ 1996م.

– محمد، سامح عبد السلام، **ما المقصود بالإرادة؟**، أخذت من موقع

https//:bit.ly2/W5N1jV